**شعبة الفلسفة**

**المستوى ماستر 1- تخصص فلسفة عربية إسلامية m1s2**

**المقياس: مناهج البحث عند مفكري الإسلام**

**الأستاذ: زروقي ابراهيم**

**المحاضرة الثالثة )03): منهج البحث عند ابي حامد الغزالي**

أن الإمام الغزالى أحد كبار مؤلفى الإسلام ومصنِّفيهم البارعين، وتمتاز مصنَّفاته بالكم و الكيف فكانت كثيرة وعميقة، وقد اعتنى العديد من الباحثين وعلى رأسهم الدكتور عبد الرحمن بدوى بعمل ببلويجرافيا خاصة عن مؤلفات الغزالى ، وهناك العديد من الدراسات المتعددة التى اعتنت بتناول فكر الغزالى، وآراءه ونظرياته فى شتى مجالات .

فأبو حامد الغزالي أبو حامد الغزالي هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، وُلِدَ بطوس بخرسان سنة 450هـ، وتوفى سنة 505 هـ، درس علم الفقه، وأصول الديانات، والمنطق، وقرأ الحكمة، والفلسفة، وأحكم كل ذلك،كان أحد مؤسسي [المدرسة الأشعرية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D8%A9) في [علم الكلام](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85)، وأحد أصولها الثلاثة بعد [أبي الحسن الأشعري](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A)، (وكانوا [الباقلاني](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A8%D9%83%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%8A) [والجويني](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%8A%D9%86%D9%8A) والغزّالي، لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجّة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة.....كان له أثرٌ كبيرٌ وبصمةٌ واضحةٌ في عدّة علوم مثل [الفلسفة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9)، [والفقه الشافعي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%A7%D9%81%D8%B9%D9%8A%D8%A9)، [وعلم الكلام](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85)، [والتصوف](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9)، [والمنطق](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82)، وترك عدداَ من الكتب في تلك المجالات. ولد وعاش في [طوس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D9%88%D8%B3)، ثم انتقل إلى [نيسابور](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D9%88%D8%B1) ليلازم [أبا المعالي الجويني](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%8A%D9%86%D9%8A) (الملقّب بإمام الحرمين)، فأخذ عنه معظم العلوم، بعد وفاته رحل إلى [بغداد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF) مدرّساً في [المدرسة النظامية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9) في عهد [الدولة العباسية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9) بطلب من الوزير [السلجوقي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%82%D9%8A%D8%A9) [نظام الملك](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%83). في تلك الفترة اشتُهر شهرةً واسعةً، ثماعتزل الناس متأثراً [بالصّوفية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9) وكتبهم، وبعد رحلة دامت 11 سنة ألف كتابه المشهور [إحياء علوم الدين](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A1_%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86) خلاصةً لتجربته الروحية،بالإضافة إلى العديد من المؤلفات مثل :

* المستصفى في أصول الفقه.
* المنخول.
* تهافت الفلاسفة.
* مجموعة رسائل جمعت وطبعت في كتاب
* المنقذ من الضلال
* الرسالة اللدُّنية
* فيصل التفرقة

كان من العلماء الأفذاذ الذين كتبوا في الفكر الإسلامي والفلسفة بمنهجية مازالت تثير دهشة معاصروهوالذين من بعده، ولا تزال تُعَدُّ من المرتكزات الأصيلة لعلماء الغرب والشرق، خاصة في قضايا العقل والشك المنهجي والإلهام. يعرَّف الغزالي العلم بقوله: "العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم إنكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، وينبغي أنْ يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً ولا إنكاراً"([[1]](#footnote-1)).

ويضيف أنه )الاعتقاد الجازم المطابق للمعلوم، ويكون على بصيرة ويتصف بالثبات عند التشكيك( ،فهذا التعريف يميز العلم عن الظن، والشك، والوهم، والتقليد.

يصنِّف أبو حامد الغزالي العلم ويقسمه إلى قسمين:

فيقول: "اعلم أنَّ العلم على قسمين: أحدهما شرعي، والآخر عقلي. وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها، وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها.

أنَّ أبا حامد الغزالي في نظريته المعرفية كان متأثراً بعوامل متباينة، فإنه تأثر بالفلسفة وذلك في تقسيمه للعلم، ثم تأثر بالصوفية في حديثه عن التوحيد والمحبة، إضافة إلى عوامل ميتافيزيقية عند تناوله للغيب وذوقيته في البديهة والفطرة ،كل هذه العوامل امتزجت فيه، لذا جاءت المعرفة عنده ناضجة ومتكاملة.

وعليه فالمنهجية العلميِّة التي ترتب الأفكار، وتجلى الرؤى، وتوضح المعالم، وترتبط بقانونية صارمة. فليس هناك مجال للسفسطة والأحكام النشاذ، ولكنها منهجية في البحث، أساسها العلميِّة مزينة بأدب النقد وصدق الحوار، تلكم التي صاغها أبو حامد في العلم والمعرفة، حيث بدأ بالعلم لأنه مفتاح المعرفة، فعرَّفه وبيَّن أقسامه وحقوقه ومراتبه بتسلسل منهجي، ثم ربط حديثه عن العلم بالمعرفة وحدَّد شروطها ووسائلها، وجعل أساسها التوحيد الخالص والتقوى. كل ذلك وفق منهجية علميِّة راسخة ظلت منهلاً أصيلاً حتى يومنا هذا.

فيجب علينا الاهتمام بها والاستفادة منها وترقيتها، حتى نسهم بايجابية في تطوير المنهجية المعاصرة ،فالغالب على الغزالى اتباع منهج تصنيف منطقى صارم، يقوم على تقسيم إلى أقسام رئيسية يسميها أرباعا أو أقساما أو أقطابا أو أبوابا أو غير ذلك، ثم يتفرع من التقسيم الرئيسى تصنيفات وتفريعات أخرى تندرج تحتها، ويتنوع فى تسميتها إلى حد ما بين فصول وأنماط وأصناف ونحو ذلك، وتكاد تكون هذه سمة أساسية وغالبة فى منهج تصنيف الغزالى، ومما اتسم بهذه السمة من مصنفاته:

كتاب )إحياء علوم الدين (يعتبر هذا الكتاب الأشهر، والحقيقة أن هناك مؤلفات عدة قبله تضمنت نفس الموضوعات ، إلا أن كتاب الإحياء تميز بحسن التنظيم والتبويب، وحسن العبارة وجزالتها، ويسر الأسلوب وبساطة .

يقوم منهج الغزالى البحثى على خطوات واضحة ومحددة منها: رفض التقليد وإيثار الاستبصار - الفطرة الأصلية نقطة ارتكاز فى منهجه - نقد العقائد والمذاهب ومناقشة مواقف الفرق طلبا للحق - البحث عن اليقين عن طريق النور الإلهى - التشكيك فى المحسوسات والمعقولات - الشك المنهجى - الجمع بين الفلسفة والدين - تعدد الموقف العلمى متكلما وفليسوفا وصوفيا وفقهيا وأصوليا، ويمكن القول بأن مشكلة المنهج عند الغزالى من أهم القضايا التى أفضت بالغزالى إلى الشك لعدم توفر معيار اليقين فى مصادر المعرفة التقليدية.

ترتب على هذا الشك المنهجى عند الغزالى وضوح الاتجاه النقدى عنده، من حيث نقده لوسائل المعرفة، ونقده للمذاهب والطوائف والأفكار والفرق، وسيؤثر الاتجاه النقدى عند الغزالى تأثيرا مباشرا على مناهج التصنيف عنده، مما يجعله يضع كتبا بأسرها من خلال اتجاهه النقدى كأعماله فى نقد الفلاسفة والباطنية وغير ذلك، أو يغير من اتجاهاته التصنيفية منتقدا الاتجاهات التصنيفية الأخرى كما فعل فى كتبه الكلامية الأخيرة،ولا يقف الاتجاه النقدى عنده على نقد المتكلمين والفلاسفة والباطنية وحسب، بل سنجد عنده نقدا واضحا وعميقا للصوفية أيضا، فبعد أن يوضح الغزالى - فى كتابه ميزان العمل([39]) وهو من آخر ما ألف - منهجَ الصوفية كما يراه ويقارنه بمنهج النظار يقرر أنه لا يطلق الترجيح بأحدهما بل يختلف ذلك بحسب الحال، ومن ثم فليس من الصواب إطلاق القول بميل الغزالى المطلق إلى التصوف.

1. () أبو حامد الغزالي: المنقد من الضلال، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا محمد محمد صابر، مصر، حقيقة سيدنا الحسين د. ت، ص 14-15. [↑](#footnote-ref-1)